العراق اليوم
AL iraq alyoum

نحنُ العرب شعب القهوة ولكننا لانستفيق

بلال حنويت الركابي

الأمة العربية هي مجتمعٌ طبيعي من البشر، يرتبط بعضها ببعض، بوحدة الأرضِ والأصل والعادات واللغة، والأمة العربية هي التِي تنتمي إليها كل المجموعات التي تتخذُ من اللغة العربية، لغة قومية ورسمية، ويعتبرُ التأريخ العربيِ والثقافة العربية المشتركة، أساساً لهويتها ومرجعيتها، وأهم مقومات الشعور العربي القومي، اللغة والثقافة والتأريخ والمصير المشترك .

يمتازُ العرب بالأصالةِ والتأريخ العريق والحضارة، وأيضاً في القتال وفي الفروسية والى جانب ذلك في الكرم، فنحنُ العرب اصحاب كرم ومضايف، نستضيف فيها الناس، ونقوم بأعداد الطعام والشراب لهم، ومن أهم ما يميّز العرب، اعدادهم للقهوة، وقوانينها في الضيافة ،وهي ضمن الاستقبال الرسمي للمضيف، حيثُ يقوم بذلك شخصٌ يسمى بالقهوجي، وهو يُورِّث ذلك أباً عن جد، والقهوة مشروبٌ يعد من بذور البن المحمصة، ويمكن أن يكون للقهوة تأثيرٌ منبه للبشر، وتعدُ القهوة اليوم من اشهر المشروبات الشعبية في جميع انحاء العالم ،وتعتبرُ اليمن من أوائل الدول التي زرعت البن، وصدّرته الى العالم، كما إن أهم وأفخر أنواع القهوة هي الموكا.. نسبة الى الميناء اليمني الشهير المخا، ويعتبرُ ميناء المخا، الأول الذي انطلقت منهُ سفن تجارة وتصدير البن الى أوروبا وباقي دول العالم، ويشتهرُ البن العربي بمذاقه الخاص وطعمه الفريد الذي يختلف عن أنواع البن الأخرى التي تُزرع وتنتج في بلدان العالم ، ويحتوي البن على مادة الكافين التي تحفز الإنسان على الاستيقاظ، وهو احد أنواع المنبهات، والفنجان الواحد يجعل الإنسان مستيقظاً لمدة تزيد عن السبع ساعات، وكل هذا والشعب العربي والأمة العربية لم تستيقظ، فجميع الملوك والحُكّام العرب نائمين في سبات على مرّ العصور والازمان، وبعضهم عملاء لأمريكا واسرائيل، واليوم تمر الأمة العربية في منحدرات شتى وعلى جميع الأصعدة والنواحي، منها الربيع العربي المزعوم الذي دمر الشعوب العربية، ومنها الثورات والحروب، فأصبح العرب يتقاتلون فيما بينهم، وكأنهم أعداء ، فالمملكة العربية السعودية تقومُ بعمليات عسكرية في اليمن، وسوريا في صراعات داخلية، ومصر تبيع نفسها للدولارات الخليجية، والعراق تحت الاحتلال المستحدث،والملقب بداعش، وبين شهيد وجريح ونازح ومهاجر، وتبقى هذه الأمة في سباتٍ تام.. إذ ما عادت أصالتهم وعروبتهم وقهوتهم تُفيقهم!!

قطار ليل البساتين ونساء جني التمور

حمزة الجناحي

عندما اُغتيل النخيل في جنوب العراق على إثر الحروب العبثية للبعث وأزلامه، هاجرت مهنةٌ مهمة، كان الناسُ يعتاشون عليها في البصرة وميسان والناصرية، هي مهنة جني التمور ،والتي تشغّل العشرات بل الآلاف من المواطنين، بين رجال ونساء، وتعطي تلك المهنة زخماً اقتصادياً محترماً، لعوائل، كانت النخلة بالنسبة لهم كالبقرة الحلوب، وكانت البصرة وميسان والناصرية في زمن النخلة الشامخة، العواصم الاقتصادية بفضل نعمة النفط في بطن أراضيها ،وبفضل تلك النخلة التي وجدت الظروف المناسبة في تلك المدن العريقة، فالتمور العراقية ليس لها مثيلٌ في مدن العالم التي تزرع النخلة من حيث الجودة الغذائية وعدد الاصناف.

كان لموسم جني التمور في تلك المدن، رائحة طيبة كرائحة الأعياد والمناسبات عند البصريين ،فالجميع يعمل من الشباب والشيوخ والأطفال والنساء، وأصحاب القوارب وأصحاب السيارات الصغيرة، والمحال التجارية والصناعية لزمن ليس ببعيد ومنظور عند ذاكرة أهل البَصرة ،والكلام هذا لا يتوقف عند مدينة البصرة، بل تشترك فيه مدينة الناصرية وميسان، وكذلك المدن التي تتميز بظروفٍ مناخية تلائمُ تلك النخلة التي اصبحت رمزاً للعراق، وبعد فناء تلك الواهبة للخير في تلك المدن، صار الناس يعتبرون المواسم الفقيرة التي ابتعدت عنها النخلة مواسم قحط وفقر، وتوقفت تقريباً الحياة في الكثير من البيوت التي كانت تشغلها النخلة، وتدرُ عليهم ارباحاً محترمة، لكن في أمكنة أخرى ومدن، ظلت تلك المهنة رائجة وعاملة ولها مواسم، مثل مواسم الحصاد، ولها أغانيها مثل أغاني أفراح الزواج وقدوم الأمطار، ظلت النخلة في بعض تلك المدن شامخة على الرغم من محاولات مشبوهة للنظام البعثي، للقضاء عليها، لكن مواسم (الكصاص) كان لها طعمٌ جميل في مدن مثل الحلة وكربلاء والنجف وبعض الأقضية والنواحي لتلك المهنة الجميلة.

...في يوم صباحي تشريني جميل، والحصار الجّائر كان يأكل بالشحم قبل اللحم العراقي، سمِعنا صوت القطار الذي يمر عبر مدينتنا، لكن هذه المرة سمعنا صوته وكأنّه (هلهولة عراقية) ،هرعنا الى السكة القريبة، لنرى على متنه وبعرباته المكشوفة المخصصة لنقل البضائع ،وليس لنقل المسافرين، المئات من النساء المتلفعات بالسواد، وبأعمارٍ مختلفة، بينهن الكبيرة بالسن والمتوسِّطة والشابة والصغيرة، وحتى بعض الأطفال، وهن يغنين أغنية السفر الحزينة، وبما أننا لم نألف مثل هذا المنظر سابقاً، هرولنا خلف القطار، وتبعناه الى المحطة القريبة، لنرى إنّ هؤلاء النسوة بعضهن قد نزلن من على متنه، وبعضهن لم يبرحن مكانهن ،وتحرك القطار ليخلّف ورائه العشرات من النساء، وهن يحملن على أكتافهن (كارات وأحمال خفيفة»، واضحٌ أنها زوّادات غذائية، وبعض الأفرشة، لتتحرك قافلة تلك النسوة وتتجه نحو غابات النخيل القريبة، والتي بعضٌ منها قد اكتمل جنيها والبعض الآخر لم يكتمل جني التمور فيها، ومازال العمل بها مستمراً، لنعرف في اليوم التالي من الناس الذين تناقلوا حديث قدومهن إن تلك النسوة هن عاملات يجمعن التمور في البساتين (طواشات)، وقد اتخذن من البساتين وعلى ضفاف شط الحلة، مكاناً ليخيّمن فيه، ويبدأن في اليوم التالي رحلة العمل, ليسارع الملاك، اصحاب البساتين الكبيرة الى تشغيلهن في الجني، ولمّ المحصول، تلكن النسوة يعملن بجد ليس له نظير، وبعد انتهاء يوم العمل، كن يطلبن بالإضافة الى أجورهن بعض التمور، وهكذا يومياً، وفي مخيمات لا تختلف كثيراً عن المخيمات العسكرية او الكشافة في تلك المخيمات، نساء يبقين صباحاً ليهيّئن المستلزمات لقدوم زميلاتهن من العمل ،وبعضهن يذهبن الى السوق للتسوق، وتبقى تلكن النسوة على هذا الحال أكثر من خمسة عشر يوماً، حتى اذا انتهى (الكصاص) يبدأن مرحلة أخرى من العمل، هو مرحلة جمع التمور من البساتين التي انتهى فيها العمل وغادرها أهلها، وكن يدخلن الى تلك البساتين فيجمعن التمور التي لم تصلها أيدي أهلها.. إمّا بسبب التعب أو إن الأرض تحت تلك النخيلات غير نظيفة، بسبب الشوك أو النباتات، فتبقى التمور مختبئة لتنالها أيدي تلكن النسوة، وهكذا تجمع تلك النسوة المئات من الكيلوات من التمور وأجور عملهن، ليعدن الى مدنهن وعلى نفس القطارات النازلة، وهن غانمات ومحمّلات بالهدايا لذويهن من المال والتمور ..استمر هذا الحال وعرف أهالي المدن الوسطى، تاريخ مجيء تلك النسوة، فكانوا ينتظروهن وهن أيضاً يعرفن البساتين التي تدر عليهن أرباحاً، ويستفدن منها كثيراً، وتعود تلك المخيمات والى نفس أمكنتها السابقة، وبوجود الأمان وتعاطف الأهالي معهن، تستمر الحياة في تلك البساتين، و بعد سقوط النظام الصدامي وعزوف القطار من الصعود ثانية الى تلك المدن ورحيل الأمان، توقفت تلك الأعراس في مدن النخيل فلم تأتي تلك النسوة ثانية الى البساتين، وظن الناس والملاك إن الحياة الجديدة ستمنع تلك النسوة من القدوم.. إمّا بسبب ارتفاع الحالة المعاشية في العراق أو بسبب وجود فرص عمل لهن في مدنهن، ومرّت اكثر من خمسٍ من السنين ولم نشاهد ذلك المنظر الجميل ثانية، والقطارات تنقل النساء الى مدننا ،ربّما لأننا لم نشاهد القطار أيضاً، وهو يعود ليسير على قضبانه ثانية..قبل ايام بدأ موسم الكصاص لنخيل العراق في المدن الوسطى والجنوبية، ونسي الناس عودة تلك النسوة، وذهب الملاك الى المساطر القريبة المنتشرة في المدن، ليهيّأ ويجلب النساء اللواتي يعملن على جمع التمور من مدننا، وخاصة من العوائل الفقيرة والمعدمة، والتي جار عليها زمن العراق المر , فاجأنا القطار ثانية، وهو ينبه بصوته الطويل العريض الكبير المسموع إن نساء المخيمات.. نساء الجِني الكبير قد عدن الى مخيماتهن، وفعلاً عادت كل تلك الذكريات الى تلك البساتين، وعادت النساء الى عملهن المتعب، ونُصبت مخيمات أكثر من سابقتها، وتركت تلك النساء بيوتهن من أجل لقمة العيش، لتقضي فترة طويلة عن عيالها وزوجها وذويها، وهي تبحث عن تميرات تائهات في بساتين الغرباء، لم نصدّق أعيننا ونحن نرى القطار الصاعد يعود ثانية، وهو يحمل على ظهره الطويل نساء من مدن كانت تعتبر في الخرائط العالمية، أغنى مدن العالم من البصرة والناصرية وميسان، ونساء تلك المدن يبحثن بين الأشواك عن تمرة هنا أو تمرتان هناك، وهن في حال الضياع على أمل العودة ثانية الى أهلهن ليعتشن على بعض الدنانير أو بعض من التمور، لموسم شتائي لا زراعة فيه ولا مطر ،وهرب منه الماء والطير والسمك، وسبخت الأرض وملحت .

المقالات الواردة لاتعبر عن رأي الصحيفة انما رأي كتّابها

طلاق إسرائيل للأردن.. ماذا يعني!؟

حيدر حسين سويري

الأردن، البلد العربي الذي لم يتأثر بربيع العرب ولا بخريفهم، وبقي ملك الأردن محافظاً على مكانتهِ بين زعماء المنطقة، بسبب إستمرار علاقته البريطانية-الإسرائيلية على أحسن وجه. قرر نتنياهو في يوم الأحد ٢٠١٥/٩/٦ ، بناء حاجز حدودي كبير، بينه وبين الأردن، خوفاً من عبور متسللين على حد زعمه، بالمقابل يدرس مقترحاً لإستقبال اللاجئيين السوريين! ماذا يعني هذا!؟ هل ستكون الأردن محطة «داعش(إسرائيل)» القادمة!؟ أمرٌ متوقع وذلك لسببين مهمين: أولهما الوصول إلى سيناء مصر، وثانيهما إجتياح المدينة المنورة ومكة، والسير بمحاذاة البحر الأحمر، وصولاً إلى اليمن، فعندها سيكون قريباً من الطاقات البشرية الهائلة، الداعمة لـ «داعش»، والتي تتمتعُ بها دولتيّ الصومال والسودان، وباقي الدول الإسلامية الإفريقية، بالأضافة إلى متطرفيّ السعودية واليمن، إسرائيل بعد أن خلخلت الوضع في العراق وسوريا من خلال «داعش» وحكومات فاسدة، بدأت الآن بالأتِجاه نحو مصر، مستخدمةً سلاحها الفتاك «داعش» الذي ينتظرهُ الأخوان المسلمين على أحرّ من الجمر، خصوصاً وأن الأزهر رفض تكفير أو تجريم «داعش»! «سرت» الليبية بدورها، ولاية «داعش» الممتدة على طول البحر الأبيض المتوسط التي لم يزرها التحالف الدولي لمحاربتها، بل تُركت لإنشاء أكبر المعسكرات والقواعد العسكرية، ولا أستبعد حصولهم على طائرات، فتجار السلاح كُثر، وليس هناك ما يمنع من وصول طائرات لهم عن طريقٍ البحر، لأستخدامها مستقبلا ضدّ مصر، فمصر غير مخترقة وما زالت تحافظ على حدودها جيداً، ونتمنى أن تستمر بذلك، وتركز على مسألة الحدود، فما إستطاعت «داعش» إختراق سوريا والعراق إلّا من خلال عدم ضبط الحدود، ولنا الآن أن نطرح عدّة تساؤلات:

- لماذا بناء هذا الحاجز(بين الأردن وإسرائيل) الآن بالذات!؟
- أي بعد قرب نهاية وطرد «داعش» نهائياً من العراق!؟
- لماذا لم تحتج الأردن على بناء مثل هذا الحاجز!؟
- هل يعني أن دخول «داعش» وخروجه من الأردن، يقع تحت مرأى ومسمع المسؤولين الأردنيين؟
- أم أن الأردن مجبرةٌ على فعل هذا وقد تورطت فيه، وسيجري عليها كما القصة القائلة: لقد أُكلتُ عندما أكل الثور الأحمر؟!

بقي شئ..قلتها وأُكررها: على الرئيس السيسي أن يعلم، إنّ لا ناصر لهُ إلا الله والتحالف الشرقي (إيران وروسيا والصين)، وما حزب الله عنهُ ببعيد.

المجتمع الدولي وتهجير شعب سورية ..سورية ستنتصر ولكن

من سيحاسب التسعين دولة التي تصدر الإرهاب لسورية !؟

هشام الهيبشان
كاتب وناشط سياسي -الاردن
hesham.awamleh@yahoo.com

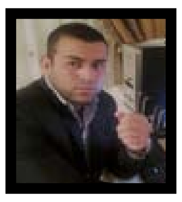

تزامناً مع الضجة العالمية "المفتعلة" ، والتي رافقت حادثة العثور على جثة الطفل السوري الملقى على شواطىء تركيا،أعلنت بعض الأنظمة الغربية والشريكة بمؤامرة الحرب على سورية، سعيها لإستضافة اعداد محدودة من اللاجئيين السوريين الذين هجرتهم بشكلٍ أو بأخِر العصابات الإرهابية المارِقة التي تدعمها بعض هذه الأنظمة الغربية في سورية،وهنا يبدو بشكلٍ واضح وصريح إن المجتمع الدولي بمجموعه يتعامى عن حقائق مايجري بداخل سورية، فهو يتباكى على طفلٍ سوري هجّرته العصابات الإرهابية التي تدعمها نفس هذه الأنظمة التي تتباكى على الطفل السوري اليوم، ويتعامى بذات الوقت عن رؤية مشاهد سقوط مئات الشهداء والجرحى، نصفهم من الأطفال بالداخل السوري،وهم حصيلة سقوط الآف القذائف وتفجيرات للسيارات المفخخة والانتحاريين و...ألخ بمدن وبلدان سورية مختلفة،هؤلاء الشهداء بمجموعهم سقطوا تقريباً بالأسبوع الماضي، وأغتالتهم وذبحتهم بصمتٍ وتعامي من قبل المجتمع الدولي العصابات الإرهابية المدعومة من النظام التركي والسعودي والقطري والصهيوني والامريكي والفرنسي والبريطاني و... ألخ، فهناك اليوم أكثر من تسعين دولة تدعم بشكلٍ أو بآخر المجاميع الإرهابية علىً الأراضي السورية .اليوم .. منِ الواضح إن هنالك حشداً دولياً للدول الشريكة بالحرب على الدولة السورية، لإقرار تفاصيل أستضافة وإذلال اللاجئيين السوريين والعرب ،وهذا الإذلالِ لـ اللاجئين السوريين تحديداً، يأتي اليوم ضمن مخطط قذر، تطولُ تفاصيله.. مستهدفاً الدولة السورية ، فعلى مدار أربعة أعوام وأكثر، وجدت سورية نفسها في خضم حربٍ عالمية في أشرس صورها، حرب معقدة ومركبة للغاية، أسقطت فيها كلّ المعايير الإنسانية، عشرات الآلاف من الإرهابيين العابرين للقارات، وملايين الأطنان من الأسلحة التي دمروا بها مدن وقرى سورية بكاملها، فقتلوا أهلها وضربوا مقومات حياة المواطن السوري، وحاربوه حتى في لقمة عيشه اليومية، حربٌ قوامها الكذب والنفاق والمصالح الصهيو - أميركية، وليس لها أي علاقة بكلّ الشعارات المخادعة التي تتسترُ بها، ففي سورية تمّ تجهيز تفاصيل المؤامرة على مراحل وحلقات، وبمشاركة دولٍ عربية وإقليمية، وعلى رغم كلّ ذلك، أثبتت سورية المستقلة بشعبها وبجيشها وبدولتها الوطنية أنها قادرة على الصمود، فصمدت على رغم كلّ التحديات الداخليةِ والخارجية، وها هي اليوم «تقفُ شامخة على أهبة الانتصار» - «تذكروا هذه الجملة واحفظوها بقواميسكم، إنّ المعركة في سورية لم تكن يوماً معركة مع مجموعات إرهابية عابرة للقارات، بقدر ما كانت وما تزال معركة مع نظام عالمي جديد يُرسم للمنطقة، وينسج خيوط مؤامرته في سورية، ليعلن قيامه بقيادة قوى الإمبريالية العالمية والماسونية اليهودية الصهيونية، بنسيجها اليهودي - المسيحي المتطرف «المسيحية المتصهينة»، فهذه المؤامرة تعكس حجم الأهداف والرهانات المتعلقة بكلّ ما يجري في سوريةِ، وهي الأهداف المرسومة تتداخلُ فيها الحسابات الدولية معِ الحسابات الإقليمية، كما تتداخلَ فيها ملفات المنطقة إلى أقصى الحدود، إلّا أنّ الجيش السوري صمد وكسر بصموده كلّ الرهانات الشرقية والغربية الإقليمية والعربية، فالجيش السوري حقق إنجازات كبيرة وهائلة في الميدان أذهلت العالم ،وغيّرت سياسات ورسمت معادلات جديدة، لا يستطيع أحد القفز فوقها، والأهم من ذلك كله هو تلاحم الشعب والجيش والقيادة السياسية في معركة ضارية قادتها وموّلتها ورعتها تسعون دولة في العالم، لكنّ إرادة الشعب السوري المتمسّك بأرضه والمؤمن بقضيته والمتفهمِ لحقيقة وطبيعة المؤامرة، أبعاداً وخلفيات، أفشل خطط الأعداء وأسقط أهدافهم بالتضحيات الجسام، فقد كشفت تقارير شبه رسمية، وتقارير مراكز دراسات عالمية أنّ عدد الدول التي تصدّر المرتزقة إلى سورية تجاوز اثنين وتسعين دولة، وإنّ هنالك غرف عمليات منظمة ضمن بعض المناطق المحاذية لسورية، لتدريب وتسليح هؤلاء المرتزقة ثمّ توريدهم وتسهيل عبورهم منِ أغلب المنافذ الحدودية، وخصوصاً الحدود التركية، والتي تحدثت هذه الدراسات عنها بإسهاب، شارحة كيف سمحت تركيا بعبور الآلاف من المرتزقة، لذلك منِ الطبيعي أن نجد اليوم كمًّا هائلا من الإرهابيين المرتزقة قد دخل سورية، بهدف ضرب المنظومة السورية المعادية للمشروع الصهيو - أميركي، وضرب الفكر العقائدي المقاوم لهذه المشاريع، وخصوصاً المنظومة العقائدية للجيش السوري، واستنزاف قدراته اللوجستية والبشرية، كهدف تتبعهُ أهداف أخرى في المنظومة الاستراتيجية للمؤامرة الكبرى على سورية، لأنّ تفكيك الدولة يستلزم تفكيك الجيش، ومن ثمّ المجتمع ومن ثمّ الجغرافيا، وكان هذا الرهان هو الهدف الأساس من عسكرة الداخل السوري، وعندما نعود بالذاكرة إلى سنوات عجاف مضت، نلاحظ إنّ الهجمة الشرسة والحرب الشعواء على سورية، تلك كانت تستهدف في شكلٍ أساسي، "العقيدة البنائية والفكرٍ الاستراتيجي للشعب وللجيش السوري وثوابت الدولة وأركانها الأخرى، من مبادئ وطنية وقومية جامعة وشعب مقاوم زرع في فكره ووجدانه الحسّ الوطني والقومي، والأهم هو نهج السلطة السياسية التي زرعت هذه الأفكار وأصبحت قاعدة لبناء سورية القوية، سورية عنوان المقاومة والقلب العروبي النابض، ومن هنا أدركت القوى التآمرية، أنها من دون تدمير وتمزيق سورية واستنزافها، لن تصل إلى مبتغاها وهدفها الأعظم المأمول بتدمير محور المقاومة، وتنصيب «إسرائيل» سيداً للمنطقة العربية والإقليم ككلّ، وكلّ هذا سيتم، بحسب مخططها، من خلال نشر آلاف الجماعات الإرهابية المسلحة على امتداد الأراضي السورية"، ولكن تماسك وتلاحم القوى الوطنية في الداخل السوري والممثلة بثلاثية الجيش والشعب والقيادة السياسية، والتي تؤمن جميعها بقضيتها، والمتفهمةَ لحقيقة وطبيعة هذه الحرب أبعاداً وخلفيات، فهذا التماسك أجهض خطط المتآمرين وأسقط أهدافهم بالتضحيات الجسام، فالمؤسسة العسكرية السورية، وعلى رغمِ كلّ ما أصابها، أرسلت رسائلا واضحة وأثبتت أنها مؤسسة عميقة ووطنية وقومية جامعة لا يمكن إسقاطها أو تفكيكها ضمن حرب إعلامية، أو خلق نقاط إرهابيةً ساخنة فيِ مناطق متعدّدة لمواجهتها،أمام كل هذه التضحيات الجسام التي قدّمها السوريون، فإنّ الحرب التي أرادتها هذه القوى التآمرية على الدولة السورية لن تنتهي، وما دامت أدواتها الإرهابية وأوراقها القذرة موجودة على الأرض السورية، ولهذا تؤمن الدولة السورية اليوم بأنّ حجم إنجازتها على الأرض واستمرار معارك تطهير أراضيها من رجس الإرهاب «بكل الوسائل والسبل المتاحةِ»، وبالتوازي مع ذلك المضي قدماً في مسيرة الإصلاح والتجديد للدولة السورية مع الحفاظ على ثوابتها الوطنية والقومية، هو الردّ الأنجع والأفضل والأكثر تأثيراً اليوم على هذه القوى، التي بدأت تُقرّ تدريجياً بفشل مشروعها، مع زيادة حجم الخسائر التي تتلقاها على الأرض السورية. ختاماً، علينا أن نقرّ جميعاً وبعيداً عن الحشود الدولية وتباكي الغِرب على حال السوريين ،وبعيداً عن خطط المتآمرين،علينا أن نقرّ بأنّ صمود الجيش العربي السوري والتلاحم بين أركان الدولة وشعبها وجيشها للحفاظ على وحدة الجغرافيا والديموغرافيا من الأعداء والمتآمرين والكيانات الطارئة في المنطقة، والتي تحاولِ المسّ بوحدتها، ما هو إلا فصلٌ من فصول آتية، سيثبتُ من خلالها السوريون أنهم كانوا وما زالوا وسيبقون بتكامل وحدتهم، صفاً واحداً ضدّ جميع مشاريع المتآمرين، وسيستمرون في التصدي لهذه المشاريع إلى أن تعلن سورية أنها أسقطت المشروع الصهيو - أميركي، وانتصرت عليه، وهذا ليس ببعيد بل يبدو أنّه قريبٌ جدًّا.

«سيرة ذاتية» لتشسترتون:

كيف تنتقد نفسك قبل انتقادك الآخرين

ابراهيم العريس

لو أوردنا لائحة بأسماء الكتّاب وغيرهم من المبدعين الذين في القرن العشرين، اعتبروه الكاتب الذي أثّر فيهم أكثر من أي كاتبٍ آخر من أبناء بداية القرن المنصرم، لطالت اللائحة وبدت بلا نهاية، ومن هنا، حسبنا أن نورد أربعة أو خمسة أسماء لمبدعين تحدثوا عن ج. ك. تشسترتون بإعجابٍ فائق، حتى يستبد بنا شيءٌ منَ الدهشة: إذ كان جيلبرت كيث تشسترتون هذا كلّه، فلمَ تراه منسياً في زمننا؟ ماركيز كان يقول: أنهُ تعلّم من تشسترتون كيفية صوغ الحبكة، وانغمار برغمان، كان يعتبر مسرحيته «السحر» واحدة من أعظم المسرحيات، لذا قدّمها على الخشبة باللغة السويدية مرات عدّة، وبول كلوديل كان يسمّيه «ملك التناقض الخلاق»، وآغاثا كريستي ودوروثي سايرز، اعتبرتاه الأب الشرعي للرواية البوليسية في القرن العشرين، أما خورخي لويس بورخيس الذي كان الأكثر إعجاباً به، فقد كتب عنه نصوصاً، ووصل مرة الى حدّ كتابة عرض لكتاب وهمي عزاه الى هذا الكاتب، وتحدّث فيه، خصوصاً، عن شخصية «الأب براون» رجل الدين والتحري الذي ابتدعته مخيّلة تشسترتون، وصاغ أومبرتو إيكو، على شاكلته، شخصية رجل الدين التحري في روايته الأولى والأشهر «أسم الوردة»، ولئن كان كثر من هؤلاء المبدعين وغيرهم فضّلوا دائماً تشسترتون ككاتب بوليسي، فإن الرجل كان في الوقت نفسه صحافياً وفيلسوفاً وشاعراً وكاتب سير، ومدافعاً نظرياً عن العقيدة المسيحية، إضافة الى كتابته الروايات الخيالية والبوليسية، وهو كان فوق هذا كلّه، محافظاً مسيحياً بشدة، لكنه كان الوحيد في هذه الخانة الذي يثير إعجاب الليبراليين والعلمانيين، ولو بما اشتهر عنده من عبارات ذات دلالة، تحمل طرافة وقوة في الوقت نفسه، كأن يكتب مرة: «إن اللصوص يبجّلون ما يملكهُ الآخرون.. الى درجة أنهم يريدون الحصول عليه كي يتمكنوا من تبجيله أكثر وأكثر»، لكن، من أين أتى هذا الرجل؟ ومن أين أتت مخيّلته وأفكاره؟ليس من الصعب الحصول على إجابة واضحة، حسب المرء أن يقرأ «السيرة الذاتية» التي كتبها تشسترتون آخر حياته ولم تنشر إلا بعد وفاته، عام 1936، ليجد حكاية يفتح بها الكاتب نصّه: حكاية شاب وسيم فاتن يعتمر تاجاً ذهبياً ويجتاز جسراً، حاملاً في يده مفتاحاً ذهبياً كبيراً.. في الناحية الأخرى من الجسر، ثمّة حصن صغير، وفي داخل الحصن فتاة حسناء، أسرت هناك، تصرخ داعية أحداً لإنقاذها، فيذهب الشاب وفي يده المفتاح لإطلاق سراحها، هذه الحكاية يقدّمها إلينا الكاتب بصفتها ذكرى خاصة من ذكريات طفولته، فما هي في حقيقتها؟ هل هي حلم؟ أم حلم يقظة؟ لا هذا ولا ذاك، هي ما تبقى في ذهنه من مسرحية مدرسية شاهدها وهو طفل، فظلّت عالقة لديه الى الأبد، بل أكثر من هذا: حرّكت كل مخيّلته خلال العقود التالية الى درجة أن هذا الشاب ومفتاحه الذهبي صارا بالنسبة إليه رمز كل ما سيكتب لاحقاً، ومن هنا، لم يكن غريباً أن يتّجه، أكثر ما يتجه، الى كتابة الروايات البوليسية ذات الحبكات التي لا تحلّ إلا بمفتاح ذهبي... يملكهُ، بين آخرين، الأب براون، ومن هنا أيضاً، لم يكن من الصدفة أن يترجم عنوان سيرته الذاتية في الفرنسية وغيرها، الى «الرجل ذو المفتاح الذهب»، مهما يكن، فإن تشسترتون يشرح لنا في الفصل الأخير من ذلك الكتاب، ما تحملهُ تلك الحكاية/ الذكرى من كناية بالنسبة إليه: إن الفارس الشاب هو رأس الكنيسة، والجسر ليس سوى ذلك الرابط بين الإنسان وخالقه، أما المفتاح الذهب فإنما هو الإيمان الذي يخلص الروح من أسرها... بعد أن يعجز أي شيء آخر عن فكّ ذلك الأسر.بين الحكاية وتفسيرها، يروي لنا تشسترتون في صفحات رائعة، حكاية حياته وسجل تفكيره، بادئاً بتقديم نفسه أبناً لسيدة فرنسية وأب إنكليزي ينتميان الى طبقة بعيدة من الأغنياء والفقراء في الوقت نفسه، ولأن حال العائلة هكذا، كان الأب والأم اللذان يعملان في تجارة العقارات، يحرصان دائماً على أن يبقى أبناء العائلة في مأمن من الاحتكاك بـ «الرعاع» طالما أنهم غير قادرين على الوصول الى الطبقات العليا، وليس صدفة هنا، أن يشغل تشسترتون الفصول الأولى بحكايات لا تنتهي حول ذلك الحرص العائلي الطهراني الغريب من نوعه، وكان حرصاً يمنع أي احتكاك بالخدم في البيت الى درجة أن واحدة من العائلة كانت تفضّل أن تأكل كل ما في صحنها كيلا تتخيل خادمة تأكل البقية من صحن كانت هي أكلت منه، وخلال سنوات الدراسة في كلية القديس بول في لندن، كان الفتى جيلبرت ينجح دائماً، لإرضاء والديه، حتى من دون أن يكلّف نفسه العمل بمشقة، لاحقاً، دخل كلية للرسم ارتبط فيها بصداقة مع أبن الناشر الشهير ويليامز، وهكذا كان من الطبيعي له أن يتجه نهائياً منذ ذلك الحين الى الكتابة والأدب، ولما كان ويليامز يصدّر مجلة عنوانها «ذي بوكمان»، راح الشاب الصاعد يكتب مقالات في النقد الفني، كما يروي لنا هو بنفسه، مؤكداً أن ثوريته في ذلك الحين قادته الى الدفاع عن البوير في الحرب التي عرفت بأسمهم في جنوب أفريقيا، التي كانت خاضعة للاستعمار البريطاني، ومن السياسة الى النقد الفني، خطوة سرعان ما خطاها الأديب الشاب، فراح يكتب عن هنري جيمس واتش دجي ويلز، كما راح يكتب بورتريات قلمية، تبدّى مبدعاً فيها، ووصلت الى ذروتها طبعاً في «سيرة ذاتية»، حيث نراهُ في هذا الكتاب الذي نتحدث عنه هنا، يرسم بورتريه ذاتية لنفسه، تبدو من الموضوعية - والسخرية أحياناً - الى درجة يتخيل القارئ معها أنه يكتب عن شخص آخر عرفه تماماً، وعرف كيف يتسلّل الى أسرار روحه وخفايا حياته، وقرر أن «يفضح» ذلك كله، غير أن هذا كله لم يتمكن من أن ينتزع من داخل تشسترتون ومن قلمه، حبه الكبير لكل ما هو سجالي، وكذلك حبه لحديث عن الذات يتعدى حديث الأشياء المادية وشؤون الحياة اليومية، أو الحديث عن براعات الآخرين أو إخفاقاتهم، ومن هنا، إذا توغل المرء أكثر وأكثر في فصول هذا الكتاب، سيجد نفسه فجأة أمام تاريخ للنفس، وأمام سيرة ذاتية لأفكار هذا الكاتب وكيف نضجت هذه الأفكار في رأسه بعد أن ولدت.. إمّا بفعل الظروف أو بفعل استقامة «بورجوازية صغيرة» موروثة، أو كمجرد رد فعل على ما كان يقوله الآخرون، والحقيقة، إن هذا الجانب من كتاب تشسترتون، يبدو ممتعاً لقرائه المعتادين، ذلك إن كل الأسئلة التي يمكن هؤلاء أن يكونوا طرحوها على أنفسهم في كل مرة كانوا يقرأون فيها واحداً من كتبه، أو يدهشون أمام أمور كثيرة يمكن أن تولد مثل هذه الدهشة لديهم، كل هذه الأسئلة تجد إجابات عنها في سياق الفصول التي يغلب عليها طابع التأريخ الفكري، وكذلك تأريخ تشسترتون لقراءاته أو لأفكار كتّاب يحبهم ويمتدحهم أو آخرين لا يحب أعمالهم ولا يمتنع عن معالجتها بقدر لا بأس به من الاحتقار، ذلك ان تشسترتون كان ناقداً مراً، لنفسه أحياناً، وللآخرين دائماً، وما هذا الكتاب سوى مثال طويل طويل، يعلّم المرء كيف يكون ناقداً لنفسه إن أراد ان يكون ذا صدقية في انتقاده الآخرين.وُلد جيلبرت كيث تشسترتون عام 1874 في لندن، ليموت بعد ذلك بـ62 سنة (أي عام 1936) في بيكونسفيلد، و خلّف عند رحيله عشرات الكتب، لعل أشهرها تلك التي تتألف منها سلسلة رواياته ذات الحبكة البوليسية - الفلسفية التي جعل الأب براون، تحريها ومفكرها الألمعي، وهو كتب أيضاً أعمالاً في السيرة عن تشارلز ديكنز والقديس فرانسوا الأسيزي والقديس توما الإكويني، إضافة الى نصوص عدة مليئة بالأفكار والعبارات التي خلدت من بعده، ومنها مثلاً: «إن العالم مقسوم الى محافظين وتقدميين.. مهمة التقدميين تقوم في السير الى الأمام وارتكاب الأخطاء، أما مهمة المحافظين فتقوم في منع تلك الأخطاء من أن تصحح».

عن جريدة الحياة

العرب.. سرعات متفاوتة

مصطفى الفقي

نجح الاتحاد الأوروبي في أن يفرض وجوده على الخريطة الدولية مع نهاية الحرب العالمية الثانية منذ بدأ «تجمع الحديد والصلب» كنواة للسوق الأوروبية المشتركة التي تطورت مع نهاية الحرب الباردة لتستقر «أوروبا الموحدة» - شرقها وغربها - في اتحاد أوروبي متفاوت السرعات بحيث لم تفرض اتفاقياته المختلفة حداً أدنى لحركة دولة تسعى إليه.

نعم... لقد وضع الاتحاد شروطاً لعضويته تتصل بالانتماء للحضارة الأوروبية وسلوكها وعناصر وجودها لكنه ترك لكل دولة معدل السرعة الذي تراه ممكناً للحاق بقطار «الاتحاد» الذي يتحرك بسرعته الطبيعية ويسمح للآخرين بركوب القطار في المحطة المناسبة من دون ضغوط أو انتقادات أو خلافات، بريطانيا تتمسك بمنطقة «الاسترليني» وترفض العملة الأوروبية الموحدة فلها ما تريد، ودول أخرى لا تتحمس لاتفاقية تأشيرة الدخول الأوروبية الموحدة (شينغن) فلا بأس، وبذلك أصبحت عضوية الاتحاد اختيارية وطوعية ولا يوجد إجبار قومي أو ضغط أوروبي يدفع إحدى الدول إلى تلبية الشروط إلا وفقاً لظروفها وبالطريقة التي تراها، لذلك فإنني استحضر الآن النموذج العربي للعمل المشترك داخل «الجامعة» وخارجها لكي أضع الاعتبارات الآتية أمام صانع القرار في كل عاصمة عربية:أولاً: إن «القومية» بطبيعتها وفي أبسط تعريفاتها انتماء طوعي يأتي نتيجة الاحساس بالرابطة التاريخية التي تتركز على عوامل مختلفة يتصدرها عنصر «اللغة الواحدة»، لذلك فإننا نقول - على سبيل المثال - أن «العربي» هو كل من كانت «العربية» لغته الأولى، وبذلك فإن الشعور القومي ينبع ذاتياً ولا يأتي فرضاً أو قسراً ولكنه يأتي اختياراً ورغبة وعقيدة، و «العروبة» بطبيعتها اختلطت لدى أبنائها بالتاريخ المشترك والجغرافيا المتقاربة والمناخ الإنساني المتشابة، وإذا كان «الإسلام» قد حمل «العروبة» إلى خارج «الجزيرة العربية» إلا أنها استقرت وتجذرت في كافة المناطق التي وصلت إليها، ويثور جدل مستمر بين أولوية من على الآخر هل «العروبة» هي التي حملت «الإسلام» إلى الشعوب الأخرى؟ أم أن «الإسلام» هو الذي حمل «العروبة» إلى شعوب بذاتها؟ بدليل أن معظم العرب مسلمون ولكن معظم المسلمين ليسوا عرباً فهناك دول قبلت «الإسلام» ديناً وتحفظت على «العروبة» ثقافة، بينما هناك دولٍ أخرى قبلت الاثنين معاً.

ثانياً: دعنا نعترف أن التنظيم الدولي المعاصر يعاني من محنة واضحة ويمر بأزمة شديدة ولم يقف الأمر عند حدود «الأمم المتحدة» وظروفها الصعبة وحاجتها إلى الإصلاح بل إن هناك منظمات أخرى قارية وإقليمية وقومية واجهت ظروفاً جديدة أثرت في كفاءتها ونالت من قيمتها، ونتذكر الآن أن «جامعة الدول العربية» قد قامت قبل قيام «الأمم المتحدة» فتأثر ميثاقها بـ «ميثاق عصبة الأمم» وتسللت «قاعدة الإجماع» إلى بنود القانون الأساسي لـ «الجامعة» فأصبحت مكبلة بقيد لا فكاك منه يؤثر في مستقبل العمل العربي المشترك بل يعطل الإرادة التوافقية لمعظم الدول الأعضاء أحياناً، وإذا كانت «جامعة الدول العربية» تفتقر إلى القوة الإلزامية في تنفيذ سياساتها المختلفة وتقف عاجزة أمام الأزمات الطارئة والقضايا المعقدة فإن «قاعدة الإجماع» تكبل حركتها وتعوق قدرتها على أن تكون منظمة للدول العربية تحت إطار قومي تستطيع أن تتصدى للعلاقات مع «دول الجوار» والقوى الإقليمية الأخرى فضلاً عن القوى العالمية.ثالثاً: لقد قامت تجارب وحدوية بين بعض الدول العربية في محاولة لتحقيق حلم الوحدة ولكنها انتكست جميعاً والسبب ببساطة أنها جاءت متسرعة غير مدروسة وكانت عاطفية في أغلبها أكثر منها واقعية، كما أن بعض الحكام أرادوا القفز إلى المستقبل بغير استعداد له فكانت النتيجة مثلاً هي نكسة الانفصال وتفكك «الجمهورية العربية المتحدة» عام 1961 بعد أقل من ثلاث سنوات على قيام دولة الوحدة بين مصر وسورية وهذا نموذج واحد للاخفاق القومي نتيجة تجاهل منطق السرعات المتفاوتة والرغبة في فرض شكل دستوري من دون تكامل اقتصادي أو غطاء شعبي متصورين أن الوحدة تأتي قسراً وتمضي بلا إرادة تصعد من أسفل إلى أعلى لكي تكون واقعية ودائمة.رابعاً: يظن البعض أن الانتماء القومي يصطدم بالانتماء الوطني وأن «دولة الجنسية» لا تقبل ما عداها وترفض كل انتماء فوقها وهذا تفكير مغلوط لأن «العروبة» لا تمنع أن يكون العربي منتمياً الى وطنه السوري أو العراقي أو الجزائري أو السوداني أو السعودي أو المصري، بل إن «الوطنية» و «القومية» متكاملتان وليس بينهما حاجز يحول دون ذلك، لذلك فإن التعصب القطري لا يتفق مع نظرية «السرعات المتفاوتة» والذين يقولون (مصر أولاً) إنما يقعون في خطأ لا مبرر له إذا أن التعارض غير قائم ولن تكون الأمة العربية قوية ومنيعة إلا بمجموع أبنائها وقدرتهم على الاصطفاف أقوياء بدلاً من التجمع ضعفاء فليس هناك مانع أن يكون الوطن أولاً ولكن ذلك لا يمنع غيره من أن يكون ثانياً قد يعلو على غيره من الانتماءات.

خامساً: لقد حان الوقت لكي يعيد العرب النظر في سلوكهم السياسي وآمالهم التي يتطلعون إليها ويسعون إلى تحقيقها ولا شك أن الدولة الوطنية القوية هي رصيد متين لأمة قادرة على فرض وجودها على الساحتين الدولية والإقليمية، ولقد أحاطت التحديات بأمتنا من كل جانب وأصبح من المتعين علينا أن نعيد النظر في كثير مما يحيط بنا حتى لا تتكرر أخطاؤنا أو تنشأ بيننا نزاعات نتيجة الاختلاف في وجهات النظر ولتحترم كل دولة عربية خيارات الدولة الأخرى ما دامت الثوابت قائمة والالتزام القومي معمول به لا خروج عنه، ولعلنا نتذكر هنا أن انفراد دولة أو أخرى بحل لمشكلة قومية في عزلة عن سواها قد يؤدي إلى انتكاسة عربية شاملة، فالحوار مطلوب واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.سادساً: إن الصراع العربي - الإسرائيلي وتداعيات المشكلة الفلسطينية تحمل في مجملها جوهر المعضلة العربية عموماً، إذ إن قيام «الدولة العبرية» قد أدى إلى جمود الموقف العربي وإصابته بالشلل السياسي أحياناً لأن إسرائيل ليست خصماً عادياً ولكنها دولة «عدوانية» «توسعية» «استيطانية» «عنصرية»، ولعل المشهد العربي الراهن لا يحجب أصابع إسرائيل في كثيرٍ من مشكلات المنطقة خصوصاً في «المشرق العربي» وسيظل الوضع متوتراً ما لم يحسم العرب علاقاتهم بدول الجوار الثلاث إسرائيل وإيران وتركيا مع تحديد صيغة عصرية للعلاقة بين العرب وواشنطن. سابعاً: أتذكر من سنوات عملي مع الرئيس الأسبق حسني مبارك عندما كان يضيق بمشاورات انعقاد القمة العربية والاختلافات حولها، لقد كان الرئيس المصري الأسبق يقول (إن منظمة الوحدة الأفريقية تنعقد في موعد محدد تكاد تضبط عليه الساعة، أما نحن العرب فإن مجرد الانعقاد لا يزال أمراً دونه الكثير من العقبات والحساسيات والمشكلات) والحل لكي نتجاوز ذلك هو أن نرتفع فوق الواقع وأن نعمل من أجل المصالح العليا للأمة وألا نستجيب للتدخلات الأجنبية أو الضغوط الخارجية، وأنا أدرك أن ذلك ليس أمراً سهلاً فالأطماع في هذه المنطقة تاريخية ومعروفة بسبب موقعها الاستراتيجي وثرواتها الطبيعية والبشرية ولأنها تتحكم في مداخل القارات الثلاث الأفريقية والآسيوية والأوروبية ومع ذلك فإن علينا أن نرتفع إلى مستوى المسؤولية في ظل هذه الظروف الصعبة التي تواجهها الأمة، وجدير بالذكر أن «الاتحاد الأوروبي» ليس وحده هو النموذج الذي نتطلع إليه بل إن الأشقاء الأفارقة، كما أسلفنا، يملكون تجربة واعية في هذا السياق ويعترفون بالتفاوت بين السرعات ولا يرفضون حق الاختلاف كما يؤمنون دائماً بأن «ما لا يدرك كله لا يترك كله»، ولعل تجربة المملكة المغربية مع منظمة «الوحدة الأفريقية» هي خير دليل على ذلك حيث جمدت الرباط عضويتها في المنظمة الأفريقية بسبب عضوية «الجمهورية الصحراوية» ومع ذلك لم يسقط التنظيم الدولي الأفريقي ولم يشجب أحد قرار المغرب بل جرت محاولات دائمة لرأب الصدع وتسوية النزاع.... لعلنا ندرك من النقاط السابقة أن ما جرى ويجري على الساحة العربية يجافي إلى حد كبير روح العصر ويفتح باباً لخلافات لا مبرر لها وأزمات كان يمكن تلافيها لو أننا آمنا بحق كل دولة في ممارسة سيادتها وحرية الاختيار الذي تراه للسرعة التي تمضي بها وسط المجموع، ولا يجب في هذه الحالة أن ينتظر الأسرع الأبطأ، كما أن الأبطأ يجب ألا ينزعج إذا حالت ظروفه دون اللحاق بالأسرع، فقطار العمل العربي المشترك يتوقف في محطات متتالية ويخضع لسرعات متفاوتة تحتاج إلى قدرة على الوعي بالواقع وفهم الحقيقة وإدراك طبيعة العصر الذي يسمح بثقافة الاختلاف السياسي من دون أن يكون ذلك سبباً لمشكلة أو مبرراً لأزمة أو دافعاً نحو نزاع لا حاجة إليه.

عن جريدة الحياة